

عبيد بن أبي نفيع الشعبي

مصدر هذه المادة :





إهداء

إلى الشيخ الداعية المجاهد الذي ما فتئ ينافح عن أصول ومعتقد أهل السنة والجماعة وكيانهم وسلفهم الصالح وتراثهم.

فتي الهمة يفضح أعداء الدين ويبهتهم ويكبتهم، قوي العزم يبين سبيل المجرمين من كفار، وصهاينة وصليبيين، وفرق ضالة باطنية، ومنافقين.

لقد استمرأ الملأ قتل الدعاة المجاهدين، أتباع أنبياء الله غيلة وغدرا.... وهذا جزء من مسلسل اغتيال ومحاولات قتل العلماء والأمراء من أمتنا في (سير أعلام النبلاء) .... للتدبر وشحذ الهمة....

فامض رعاك الله، وسدد خطاك، مذكرا إياك بقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [سورة آل عمران: الآية: ١٧٣].

ومطمئنا إياك بقوله تعالى: ﴿**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**﴾. [فاطر: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾ [النساء: ٧٦].

مستعينا بالله، واعقلها وتوكل عليه تعالى.

واحفظ الله يحفظك. فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين.... والعاقبة للمتقين.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده بالله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﷺ.

أما بعد....

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

الناس يهدون على قدرهم
لكنني أهدي على قدري
يهدون ما يفنى وأهدي الذي
يبقى على الأيام والدهر

أخي القارئ الكريم:

هذا هو الجزء الرابع من سلسلة الفوائد الذهبية من سير أعلام النبلاء، نقدمها للقارئ الكريم، وهو عبارة عن جزء من اغتيالات ومحاولات قتل علماء وأمراء هذه الأمة...

أذكر بها في زمن تعددت فيه أساليب وأسباب الاغتيالات، وليكون للتدبر والعظة.

راجيا من القارئ الكريم أن يهتم بهذه الأجزاء من هذه السلسلة

الذهبية، وأن يبدي ملاحظاته... إذ في النية إخراج جميع فوائد سير أعلام النبلاء معتمدا على الكتاب الأصل ومذهبة (نزهة الفضلاء) للأستاذ النبيل محمد حسن عقيل موسى، وفهارس فوائده الرائع... مع ما سأضيفه من فوائد إن شاء الله تعالى.

عملي في هذا الجزء:

١- اخترت محاولات الاغتيالات المتعلقة بالعلماء والأمراء من أمتنا، و لم استقص جميع محاولات القتل فتلك نوع آخر.

٢- وضعت عنوانا لكل حدث، مع ذكر اسم الشخصية التي استهدفت باغتيال أو محاولة قتل.

٣- لم أكتف بجزء حادثة القتل وأسلوبها، بل زدت أحيانا بعضا من سيرة المجني عليه، لتمام الفائدة، ووضوح الصورة، والبلاغة في التفاعل مع العملية.

٤- انتقيت من الأحاديث ما صححه أو حسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط ــ محقق السير ــ ومن أراد الوقوف على ذلك فليرجع إلى الأصل.

٥- كذلك استفدت كثيرا من تعليقات الشيخ شعيب، وصاحب النزهة وغالبا أنقلها بنصها لتمام الفائدة.

والله أسأل أن ينفع بالمقصود من نشر هذا الجزء.

ولنرفع أكف الضراعة للرحمن الرحيم أن يجنب المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يحفظ عامة المسلمين وعلماءهم

ودعاتهم وقادتهم، من كيد أعداء أهل السنة والجماعة ومن الاقتتال على حطام الدنيا الزائل... إنه بأمة نبيه محمد رؤوف رحيم.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحدث الأول:

خان الخليفة وقتل المشهود له بالجنة غدرا

طلحة بن عبيد الله (رضي الله عنه)

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وممن سبق إلى الإسلام وأوذي في الله.

عن علقمة بن وقاص الليثي، قال: لما خرج طلحة، والزبير وعائشة للطلب بدم عثمان... رأيت طلحة، وأحب المجلس إليه أخلاها، وهو ضارب بلحيته على زوره، فقلت: يا أبا محمد! إني أراك، وأحب المجالس إليك أخلاها، إن كنت تكره هذا الأمر فدعه، فقال: يا علقمة لا تلمني، كنا أمس يدا واحدة على من سوانا، فأصبحنا اليوم جبلين من حديد، يزحف أحدنا إلى صاحبه، ولكنه كان مني شيء في أمر عثمان، مما لا أرى كفارته إلا سفك دمي وطلب دمه.

قال الذهبي: الذي كان في غفلة وتأليب فعله باجتهاد، ثم تغير عندما شاهد مصرع عثمان وعدم نصرته.

عن قيس قال: رأيت مروان بن الحكم (١) حين رمى طلحة يومئذ بسهم، فوقع في ركبته، فمازال ينسح حتى مات.

---

(١) مات خنقا بفعل زوجته من أول رمضان سنة خمس وستين....
وقد ذكرت القصة في جزء أخبار النساء ـــ جزء المتفرقات بعنوان "امرأة تقتل زوجها" فانظره.
انظر ترجمته في السير ٣/٤٧٦ – ٤٧٩. ونزهة الفضلاء ص٣٠٠ – ٣٠١.

وكان كاتب ابن عمه عثمان، وإليه الخاتم، فخانه، وأجلبوا بسببه على عثمان، ثم نجا هو، وسار مع طلحة والزبير للطلب بدم عثمان فقتل طلحة يوم الجمل، ونجا لا نُجِّيَ ثم ولي المدينة غير مرة لمعاوية.

قال الذهبي: قاتل طلحة في الوزر بمنزلة قاتل علي.

وكان قتل طلحة في سنة ست وثلاثين، وهو ابن ثنتين وستين سنة أو نحوهما، وقبره بظاهر البصرة. ولطلحة أولاد نجباء، أفضلهم محمد السجاد، كان شابا خيرا، عابدا، قانتا لله، ولد في حياة النبي، ﷺ ، قتل يوم الجمل أيضا، فحزن عليه علي، وقال: صرعه بره بأبيه.

الحدث الثاني:

اغتيال حواري رسول الله ﷺ

الزبير بن العوام (رضي الله عنه)

ابن خويلد حواري رسول الله، ﷺ ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأول من سل سيفه في سبيل الله، أبو عبد الله (رضي الله عنهما)، أسلم وهو حدث له ست عشرة سنة.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: انصرف الزبير يوم الجمل عن علي... وقال: ذكرني علي شيئا سمعته من رسول الله، ﷺ ،

فحلفت أن لا أقاتله، ثم قال:

تــرك الأمــور الــتي أخشــى عواقبــها
في الله أحســن في الــدنيا وفي الــدين

عن جَون بن قتادة: كنت مع الزبير يوم الجمل... فطعنه ابــن جرموز فأثبته، فوقع، ودفن بوادي السباع، وجلس علي –رضي الله عنه– يبكي عليه هو وأصحابه.

قتل سنة ست وثلاثين، وله بضع وخمسون سنة.

قال ابن المديني: سمعت سفيان يقول: جاء ابــن جرمــوز إلى مصعب بن الزبير ـــ يعني لما ولي إمرة العراق لأخيه الخليفة عبد الله بن الزبير، فقال: أقدني بالزبير، فكتب في ذلك يشاور ابن الــزبير، فجاءه الخبر:

أنا أقتل ابن جرموز بالزبير؟ ولا بشسع نعله.

قال الذهبي: أكل المعثَّر يديه ندما على قتله، واستغفر، لا كقاتل طلحة، وقاتل عثمان، وقاتل علي.

الحدث الثالث:

محاولة اغتيال أمير المؤمنين
معاوية (رضي الله عنه)

عن أنس قال: تعاهد ثلاثة من أهل العراق على قتــل معاويــة

وعمرو بن العاص، وحبيب بن مسلمة، وأقبلوا بعد بيعة معاوية بالخلافة حتى قدموا إيلياء، فصلوا من السحر في المسجد، فلما خرج معاوية لصلاة الفجر كبر، فلما سجد انبطح أحدهم على ظهر الحرسي الساجد بينه وبين معاوية حتى طعن معاوية في مأكمته. فانصرف معاوية، وقال: أتموا صلاتكم وأمسك الرجل، فقال الطبيب: إن لم يكن الخنجر مسموما، فلا بأس عليك فأعد الطبيب عقاقيره، ثم لحس الخنجر، فلم يجده مسموما، فكبر، وكبر من عنده وقيل: ليس بأمير المؤمنين بأس.

قلت: هذه المرة غير المرة التي جرح فيها وقتما قتل علي (رضي الله عنه) فإن تلك فلق إليته وسقي أدوية خلصته من السم، لكن قطع نسله.

الحدث الرابع:

الظلمة لا يتورعون عن قتل أولياء الله

ابن عمر (رضي الله عنهما)

قام ابن عمر (رضي الله عنهما) إلى الحَجَّاج، وهو يخطب، فقال: يا عدو الله! استُحِلَّ حرمُ الله، وخُرِّب بيت الله. فقال: يا شيخا قد خرف. فلما صدر الناس، أمر الحَجَّاج بعض مسودته، فأخذ حربة مسمومة، وضرب بها رجل ابن عمر، فمرض، ومات منها.

ودخل عليه الحَجَّاج عائدا: فسلم فلم يرد عليه، وكلمه، فلم يجبه.

الحدث الخامس:

مقتل سبط رسول الله ﷺ

الحسين الشهيد ابن أمير المؤمنين

الإمام الشريف الكامل، سبط رسول الله، ﷺ ، وريحانته من الدنيا، ومحبوبه، أبو عبد الله الحسين ابن أمير المؤمنين، أبي الحسن، علي بن أبي طالب، القرشي الهاشمي، حدَّث عن جده.

عن أبي أمامة، قال رسول الله، ﷺ ، لنسائه: «**لا تبكوا هذا**» ـــ يعني: حسينا ـــ فكان يوم أم سلمة، فنزل جبريل، فقال رسول الله، ﷺ ، لأم سلمة: «**لا تدعي أحدا يدخل**» فجاء حسين، فبكى، فخلته يدخل، فدخل حتى جلس في حجر رسول الله، ﷺ ، فقال جبريل: إن أمتك ستقتله. قال: «**يقتلونه وهم مؤمنون؟**» قال: نعم، وأراه تربته.

بلغنا أن الحسين لم يعجبه ما عمل أخوه الحسن، من تسليم الخلافة إلى معاوية، بل كان رأيه القتال، ولكنه كظم، وأطاع أخاه، وبايع وكان يقبل جوائز معاوية، ومعاوية يرى له، ويحترمه، ويجله، فلما أن فعل معاوية ما فعل بعد وفاة السيد الحسن من العهد

بالخلافة إلى ولده يزيد تألم الحسين [١]، وحق له، وامتنع هو وابن أبي بكر، وابن الزبير عن المبايعة، حتى قهرهم معاوية، وأخذ بيعتهم مكرهين، وغلبوا، وعجزوا عن سلطان الوقت. فلما مات معاوية، تسلم الخلافة يزيد وبايعه أكثر الناس، ولم يبايع له ابن الزبير ولا الحسين، وأنفوا من ذلك. ورام كل واحد منهما الأمر لنفسه، وسارا في الليل من المدينة إلى مكة، ونزل الحسين بمكة دار العباس، ولزم عبد الله الحِجر، وجعل يحرض على بني أمية، وكان يغدو ويروح إلى الحسين، ويشير عليه أن يقدم العراق ويقول: هم شيعتكم. وكان ابن عباس ينهاه. وقال له أبو سعيد: اتق الله والزم بيتك. وكلمه جابر، وأبو واقد الليثي.

وأبى الحسين على كل من أشار عليه، إلا المسير إلى العراق.

وروى ابن سعد بأسانيده: قالوا: وأخذ الحسين طريق العذيب [٢] حتى نزل قصر أبي مقاتل [٣]، فخفق خفقة، ثم استرجع، وقال: رأيت كأن فارسا يسايرنا، ويقول: القوم يسيرون، والمنايا تسري إليهم، ثم نزل كربلاء، فسار إليه عمر بن سعد كالمكره. إلى أن قال: وقتل أصحابه حوله، وكانوا خمسين، وتحول إليه من أولئك

---

(١) بايع الحسن معاوية على أن جعل له العهد بالخلافة من بعده. انظر نزهة الفضلاء. ٣/١٤٠.

(٢) قال ياقوت: العذيب: ماء بين القادسية والمغيثة.

(٣) في "الطبري" ٥/٤٠٧، وابن الأثير ٤/٥٠: قصر بني مقاتل، قال ياقوت في (معجم البلدان) ٤/٣٦٤: وقصر مقاتل: كان بين عين التمر والشام، وقال السكوني: هو قرب القطقطانة وسلام ثم القريات: منسوب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس.

عشرون، وبقي عامة نهاره لا يقدم عليه أحد، وأحاطت به الرَّجَّالة، وكان يشد عليهم، فيهزمهم وهم يكرهون الإقدام عليه، فصرخ بهم شمر! ثكلتكم أمهاتكم، ماذا تنتظرون به؟ وطعنه سنان بن أنس النخعي في ترقوته، ثم طعنه في صدره فخر، واحتز رأسه خولي الأصبحي ـ لا رضي الله عنهما.

قال: ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون جراحة.

ولم يفلت من أهل بيت الحسين سوى ولده علي الأصغر، فالحسينية من ذريته، كان مريضا، وحسن بن حسن بن علي وله ذرية، وأخوه عمرو، ولا عقب له، والقاسم بن عبد الله بن جعفر، ومحمد بن عقيل، فقدم بهم وبزينب وفاطمة بنتي علي، وفاطمة وسكينة بنتي الحسين، وزوجته الرباب الكلبية والدة سكينة، وأم محمد بنت الحسن بن علي، وعبيد وإماء لهم.

وورد البشير على يزيد، فلما أخبره، دمعت عيناه، وقال: كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين. وقالت سكينة: يا يزيد، أبنات رسول الله سبايا؟ قال: يا بنت أخي هو والله علي أشد منه عليك، أقسمت ولو أن بين ابن زياد وبين حسين قرابة ما أقدم عليه، ولكن فرقت بينه وبينه سمية، فرحم الله حسينا.

عجل عليه ابن زياد، أما والله لو كنت صاحبه ثم لم أقدر على دفع القتل عنه إلا بنقص بعض عمري، لأحببت أن أدفعه عنه ولو وددت أن أتيت به سلما.

ثم أقبل على علي بن الحسين، فقال: أبوك قطع رحمي، ونازعني

سلطاني. فقام رجل، فقال: إن سباءهم لنا حلال. قال علي: كذبت إلا أن تخرج من ملتنا. فأطرق يزيد، وأمر بالنساء، فأدخلن على نسائه وأمر نساء آل أبي سفيان، فأقمن المأتم على الحسين ثلاثة أيام، إلى أن قال: وبكت أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر، فقال يزيد وهو زوجها: حق لها أن تعول على كبير قريش وسيدها. فجهزهم وحملهم إلى المدينة.

عن ابن عباس: رأيت رسول الله، ﷺ ، في النوم نصف النهار، أشعث أغبر، وبيده قارورة فيها دم. قلت: يا رسول الله، ما هذا؟ قال: «**هذا دم الحسين وأصحابه، لم أزل منذ اليوم ألتقطه**». فأحصي ذلك اليوم فوجدوه قتل يومئذ.

* وممن قتل مع الحسين إخوته الأربعة، جعفر وعتيق، ومحمد، والعباس الأكبر، وابنه الكبير علي، وابنه عبد الله، وكان ابنه علي زين العابدين مريضا، فسلم، وكان يزيد يكرمه ويرعاه.

وقتل مع الحسين، ابن أخيه القاسم بن الحسن، وعبد الله وعبد الرحمن ابنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ومحمد وعون ابنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

فأولاد الحسين هم: علي الأكبر الذي قتل مع أبيه، وعلي زين العابدين، وذريته عدد كثير، وجعفر، وعبد الله و لم يعقبا.

فولد لزين العابدين الحسن والحسين ماتا صغيرين، ومحمد الباقر وعبد الله، وزيد وعمر، وعلي، ومحمد الأوسط و لم يعقب، وعبد الله وحسين الصغير، والقاسم و لم يعقب.

الحدث السادس:

الإغراء بقتل السفير

عامر بن شرحبيل بن عبد، الإمام، علَّامة العصر، الشعبي

عن أبي مجلز، قال: ما رأيت أحدا أفقه من الشعبي، لا سعيد بن المسيب، ولا طاووس، ولا عطاء، ولا ابن سيرين، فقد رأيت كلهم.

وقيل للشعبي: من أين لك كل هذا العلم؟ قال: بنفي الاغتمام، والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمام، وبكور كبكور الغراب.

عن عبد الملك بن عمير، قال: مر ابن عمر بالشعبي، وهو يقرأ المغازي، فقال: كأن هذا كان شاهدا معنا، ولهو أحفظ لها مني وأعلم.

عن ابن سيرين، قال: قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة، والصحابة يومئذ كثير.

*** كان العلماء هم السفراء سابقا:**

قال ابن عائشة: وجه عبد الملك بن مروان الشعبي إلى ملك الروم — يعني رسولا — فلما انصرف من عنده قال:

يا شعبي، أتدري ما كتب به إلي ملك الروم؟ قال: وما كتب به يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت أتعجب لأهل ديانتك، كيف لم يستخلفوا عليهم رسولك. قلت: يا أمير المؤمنين لأنه رآني و لم يرك. أوردها الأصمعي، وفيها قال: يا شعبي، إنما أراد أن يغريني بقتلك.

فبلغ ذلك ملك الروم فقال: لله أبوه، والله ما أردت إلا ذاك.

الحدث السابع:

قتل الخليفة الراشد الخامس

(عمر بن عبد العزيز)

ما أكثر بكاؤه ــ رحمه الله تعالى ــ

عن مغيرة بن حكيم: قالت فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز: حدثنا مغيرة، أنه يكون في الناس من هو أكثر صلاة وصياما من عمر بن عبد العزيز، وما رأيت أحدا أشد فرقا من ربه منه، كان إذا صلى العشاء، قعد في مسجده، ثم يرفع يديه، فلم يزل يبكي حتى تغلبه عينه، ثم ينتبه، فلا يزال يدعو رافعا يديه يبكي حتى تغلبه عينه، يفعل ذلك ليله أجمع.

ومن شعره:

من كان حين تصيب الشمس جبهته
أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته
فسوف يسكن يوما راغما جدثا
في قعر مظلمة غبراء موحشة
يطيل في قعرها تحت الثرى اللبثا
تجهزي بجهاز تبلغين به
يا نفس قبل الردى لم تخلقي عبثا

ومما روي له:

أيقظـــان أنـــت اليـــوم؟ أم أنـــت نـــائم
وكيـــف يطيـــق النـــوم حـــيران هـــائم
فلـــو كنـــت يقظـــان الغـــداة لخرقـــت
مـــدامع عينيـــك الـــدموع الســـواجم
تســـر بمـــا يبلـــى وتفـــرح بـــالمنى
كمـــا اغتـــر باللـــذات في اليـــوم حـــالم
نهـــارك يـــا مغـــرور ســـهو وغفلـــة
وليلـــك نـــوم والـــردى لـــك لازم
وســـعيك فيمـــا ســـوف تكـــره غبـــه
كـــذلك في الـــدنيا تعـــيش البـــهائم

لماذا قتلوه ـــ رحمه الله تعالى؟:

قد كان هذا الرجل حَسَن الخلق، وحُسْنِ الخلق كمال العقل، حسن السمت، جيد السياسة، حريصا على العدل بكل ممكن، وافر العلم، فقيه النفس، ظاهر الذكاء والفهم، أواها منيبـــا، قانتـــا لله، حنيفا زاهدا مع الخلافة، ناطقا بالحق مع قلة المعين، وكثرة الأمـــراء الظلمة الذين ملوه وكرهوا محاققته لهم، ونقصه أعطياتهم، وأخـــذه كثيرا مما في أيديهم مما أخذوه بغير حق، فما زالوا به حتى ســـقوه السم، فحصلت له الشهادة والسعادة، وعد عند أهل العلـــم مـــن الخلفاء الراشدين، والعلماء العاملين.

من أداة قتله ـــ رحمه الله تعالى ـــ

عن مجاهد: قال لي عمر بن عبد العزيز: ما يقـــول في النـــاس؟ قلت: يقولون مسحور، قال: ما أنا بمسحور، ثم دعا غلاما له فقال: ويحك! ما حملك على أن سقيتني السم؟ قال ألف دينار أعطيتـــها، وعلى أن أعتق، قال هاتها، فجاء بها، فألقاها في بيت المال، وقـــال: اذهب حيث لا يراك أحد.

ساعة موته:

وقال المغيرة بن حكيم: قلت لفاطمة بنت عبد الملك: كنـــت أسمع عمر بن عبد العزيز في مرضه يقول: اللهم أخف عليهم أمري ولو ساعة، قلت: قلت له: ألا أخـــرج عنـــك، فإنـــك لم تـــنم، فخرجت، فجعلت أسمعه يقول: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَـــادًا وَالْعَاقِبَـــةُ لِلْمُـــتَّقِينَ**﴾. [القصص: ٨٣] مرارا ثم أطرق فلبثت طويلا لا يسمع له حـــس، فقلت لوصيف: ويحك انظر، فلما دخل، صاح فدخلت فوجدتـــه ميتا، وقد أقبل بوجهه على القبلة، ووضع إحدى يديه على فيـــه، والأخرى على عينيه.

ولكُثَيِّر عزة يرثيه:

عمـــــت صـــــنائعه فعـــــم هلاكـــــه
فالنـــــاس فيـــــه كلـــــهم مـــــأجور
والنـــــاس مـــــأتمهم عليـــــه واحـــــد
في كـــــــل دار رنـــــــة وزفـــــــير

يـــثني عليـــك لســـان مـــن لم تولـــه
خـــــيرا لأنـــــك بالثنـــــاء جـــــدير
ردت صـــــــنائعه عليـــــه حياتـــــه
فكأنـــــه مــــن نشـــــرها منشـــــور

وكان أسمر دقيق الوجه، حسنه، نحيف الجسم، حسن اللحيـــة، بجبهته شجة. وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأياما.

قال ابن عيينة: قال رجل لعمر بن عبد العزيز: جزاك الله عـــن الإسلام خيرا، قال بل جزى الله الإسلام عني خيرا.

مات سنة إحدى ومائة.

الحدث الثامن:

سمٌّ إمام أهل الرأي
أبو حنيفة النعمان –رحمه الله تعالى–

قال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة.

قلت: أي الذهبي الإمامة في الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الإمام وهذا أمر لاشك فيه.

ولـــيس يصـــح في الأذهـــان شـــيء
إذا احتـــــاج النـــــهار إلى دليـــــل

وسيرته تحتمل أن تفرد في مجلدين –رضي الله عنه ورحمـــه–.

توفي شهيدا مسقيا في سنة خمسين ومئة. وله سبعون سنة، (وقبره) ببغداد، والله أعلم.

الحدث التاسع:

شهيد الثبات على السنة ونشرها

أحمد بن نصر المروزي

الإمام الكبير الشهيد، أبو عبد الله، أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي المروزي ثم البغدادي. كان جده أحد نقباء الدولة العباسية، وكان أحمد أمارا بالمعروف، قوالا بالحق.

قال ابن الجنيد: سمعت يحيى بن معين يترحم عليه، وقال: ختم الله له بالشهادة، وقد كتبت عنه، وكان عنده مصنفات هشيم كلها، وعن مالك أحاديث، وكان يقول عن الخليفة: ما دخل عليه من يصدقه. ثم قال يحيى: ما كان يحدث، ويقول: لست هناك.

وقال الصولي: كان هو وسهل بن سلامة حين كان المأمون بخراسان بايعا الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قدم المأمون فبايعه سهل، ولزم ابن نصر بيته، ثم تحرك في آخر أيام الواثق، واجتمع إليه خلق يأمرون بالمعروف. قال: إلي أن ملكوا بغداد، وتعدى رجلان موسران من أصحابه، فبذلا (وعزما على الوثوب) في سنة إحدى وثلاثين فنم الخبر إلى نائب بغداد إسحاق بن إبراهيم، فأخذ أحمد وصاحبه وجماعة، ووجد في منزل أحدهما

أعلاما وضرب خادما لأحمد، فأقر بأن هؤلاء كانوا يأتون أحمد ليلا، ويخبرونه بما عملوا فحملوا إلى سامراء مقيدين، فجلس الواثق لهم، وقال لأحمد: دع ما اخذت له، ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله. قال: أفمخلوق هو؟ قال: كلام الله. قال: فترى ربك في القيامة؟ قال: كذا جاءت الرواية. قال: ويحك يرى كما يرى المحدود المتجسم، ويحويه مكان ويحصره ناظر؟ أنا كفرت بمن هذه صفته، ما تقولون فيه؟ فقال قاضي الجانب الغربي: هو حلال الدم، ووافقه فقهاء، فأظهر أحمد بن أبي دؤاد أنه كاره لقتله [1] وقال: شيخ مختل، تغير عقله، يؤخر. قال الواثق: ما أراه إلا مؤديا لكفره قائما بما يعتقده، ودعا بالصمصامة، وقام، وقال: أحتسب خطاي إلى هذا الكافر. فضرب عنقه بعد أن مدوا له رأسه بحبل، وهو مقيد ونصب رأسه بالجانب الشرقي، وتتبع أصحابه فسجنوا.

قال الحسن بن محمد الحربي: سمعت جعفر بن محمد الصائغ، يقول: رأيت أحمد بن نصر حين قتل قال رأسه: لا إله إلا الله.

قال المروزي: سمعت أحمد ذكر أحمد بن نصر، فقال رحمه الله

---

(١) أحمد بن أبي دؤاد عدو أهل السنة وإمامها أحمد بن حنبل كان داعية إلى خلق القرآن، كان ابن أبي دؤاد يوم محنة الإمام أحمد بن حنبل إلبا على الإمام أحمد، يقول يا أمير المؤمنين، اقتله هو ضال. نعوذ بالله من الزيغ والابتداع وطمس البصيرة، انظر سيرته في السير ١١/١٦٩ – ١٧١ وفي نزهة الفضلاء ص٨٠٨ وقد افتك من أسر الروم أربعة آلاف وست مئة نفس، فقال هذا المبتدع ابن أبي دؤاد: من لم يقل القرآن مخلوقًا، فلا تفتكوه. ص ٧٦٩ من النزهة، فانظر يا أخي كيف يعاملون أهل السنة كما يعاملون الكافر ـــ فيا سبحان الله ـــ . أهل اتباع السنة أصبحة ـــ ممن يقول أنا مسلم ـــ في غربة وعذاب، ومع هذا فأهل السنة يشفقون بهم و لم نسمع بمن قال اقتلوهم أو دعوهم مع الكفار فما أرفقهم بالناس.

لقد جاد بنفسه.

وعلق في أذن أحمد بن نصر ورقة فيها: هذا رأس أحمد بن نصر دعاه الإمام الواثق إلى القول بخلق القرآن، ونفي التشبيه، فأبى إلا المعاندة، فجعله الله إلى ناره، وكتب محمد بن عبد الملك.

وصح أنهم أقعدوا رجلا بقصبة، فكانت الريح تدير الرأس إلى القبلة، فيديره الرجل.

بقي الرأس منصوبا ببغداد، والبدن مصلوبا بسامراء نحو ست سنين إلى أن أنزل، وجمع في سنة سبع وثلاثين، فدفن رحمة الله عليه.

الحدث العاشر:

من معالم منهج أهل السنة الثبات على الحق

المرار بن حمويه

ابن منصور، الإمام الفقيه الحافظ، شيخ همذان، أبو أحمد الثقفي الهمذاني. ولد بعد التسعين ومائة.

فضلان بن صالح قال: قلت لأبي زرعة الرازي: أنت أحفظ أم المرار؟ فقال: أنا أحفظ وهو أفقه.

وقال عبد الله أحمد بن الدحيمي: سمعت المرار يقول: اللهم ارزقني الشهادة، وأمر يده على حلقه. وقيل: لما وقعت فتنة المعتز والمستعين كان على همذان الأميران جباخ وجغلان من قبل المعتز،

فاستشار أهل همذان المرار والجرجاني في محاربتهما، فأمراهم بلزوم منازلهم، فلما أغار أصحابهما على دار سلمة بن سهل وغيرها، ورموا رجلا بسهم، أفتياهم في الحرب، وتقلد المرار سيفا، فخرج معهم، فقتل عدد كثير من الفريقين، ثم طلب مفلح المرار، فاعتصم بأهل قم، وهرب معه إبراهيم بن مسعود المحدث، فأما إبراهيم فهازلهم وقاربهم فسلم، وأما المرار، فأظهر مخالفتهم في التشيع، وكاشفهم، فأوقعوا به وقتلوه، رحمه الله.

وروى الحسين بن صالح أن عمه المرار قتل في سنة أربع وخمسين ومائتين. وله أربع وخمسون سنة. قال صالح بن أحمد التميمي قتل المرار في السُّنَّة شهيدا.

قلت: كان من أئمة الإسلام.

الحدث الحادي عشر:

عباد الدنيا لا يوقرون شيخا ولا مصليا

الرياشي

عباس بن الفرج، العلّامة الحافظ شيخ الأدب، أبو الفضل، الرياشي البصري النحوي، مولى محمد بن سليمان بن علي العباسي الأمير.

ولد بعد الثمانين ومائة.

قال أبو بكر الخطيب: قدم الرياشي بغداد، وحدَّث بها، وكان

ثقة، وكان من الأدب وعلم النحو بمحل عال. كان يحفظ كتب أبي زيد وكتب الأصمعي كلها. وقرأ على أبي عثمان المازني "كتاب" سيبويه فكان المازني يقول: قرأ علي الرياشي "الكتاب" وهو أعلم به مني.

قال ابن دريد: قتلته الزنج بالبصرة سنة سبع وخمسين ومائتين.

وقال علي بن أبي أمية: لما كان من دخول الزنج البصرة ما كان وقتلهم بها من قتلوا، وذلك في شوال سنة سبع، بلغنا أنهم دخلوا على الرياشي المسجد بأسيافهم، والرياشي قائم يصلي الضحى، فضربوه بالأسياف: وقالوا: هات المال، فجعل يقول: أي مال، أي مال؟! حتى مات. فلما خرجت الزنج عن البصرة، دخلناها، فمررنا ببني مازن الطحانين ــ وهناك كان ينزل الرياشي ــ فدخلنا مسجده، فإذا به ملقى وهو مستقبل القبلة كأنما وجه إليها، وإذا بشملة تحركها الريح وقد تمزقت، وإذا جميع خلقه صحيح سوي لم ينشق له بطن، ولم يتغير له حال إلا أن جلده قد لصق بعظمة ويبس، وذلك بعد مقتله بسنتين رحمه الله.

قال الذهبي: فتنة الزنج كانت عظيمة، وذلك أن بعض الشياطين الدهاة كان طرقيا أو مؤدبا، له نظر في الشعر والأخبار، ويظهر من حاله الزندقة والمروق، ادعى أنه علوي، ودعا إلى نفسه، فالتف عليه قطاع طريق، والعبيد السود من غلمان أهل البصرة، حتى صار في عدة وتحيلوا وحصلوا سيوفا وعصيا، ثم ثاروا على أطراف البلد. فبدعوا وقتلوا وقووا، وانضم إليهم كل مجرم،

واستفحل الشر بهم، فسار جيش من العراق لحربهم، فكسروا الجيش، وأخذوا البصرة، واستباحوها، واشتد الخطب، وصار قائدهم الخبيث في جيش وأهبة كاملة، وعزم على أخذ بغداد، وبنى لنفسه مدينة عظيمة، وحار الخليفة المعتمد في نفسه، ودام البلاء بهذا الخبيث المارق ثلاث عشرة سنة، وهابته الجيوش، وجرت معه ملاحم ووقعات يطول شرحها، قد ذكرها المؤرخون إلى أن قتل. فالزنج هم عبارة عن عبيد البصرة الذين ثاروا معه، -لا بارك الله فيهم [١].

الحدث الثاني عشر:

قتل لجهاده وبغضه لعبيد الله وجنده

ابن خيرون

الإمام أبو جعفر، محمد بن خيرون المعافري مولاهم القرطبي.

قال بعضهم: كنت جالسا عند ابن أبي خنزير فدخل شيخ ذو هيئة وخشوع، فبكى ابن أبي خنزير وقال: السلطان ــ يعني عبيد الله ــ وجه إلي يأمرني بدوس هذا حتى يموت. ثم بطحه، وقفز عليه السودان حتى مات، لجهاده وبغضه لعبيد الله وجنده.

وكان سعى به المروزي اللعين، ولما رأى ابن أبي خنزير كثرة أذاه للعلماء، تحيل وسعى به، حتى قتله عبيد الله سنة ثلاث مئة أو

(١) سيأتي حديث عنهم في جزء الفتن وجزء الفرق الضالة.

بعدها، فيا ما لقي الإسلام وأهله من عبيد الله المهدي الزنديق.

الحدث الثالث عشر:

هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر!!

وكان الرفض علانية بدمشق في سنة أربع مئة. ولقد أخذ نائبها تمصولت البربري رجلا في سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة فطيف به على حمار: هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر، ثم قتل.

الحدث الرابع عشر:

هددوه بالقتل ليمتنع عن رواية الحديث

الحافظ أبو إسحاق

الحبال

مات المستنصر الرافضي العبيدي سنة سبع وثمانين وأربع مئة، وقد قارب السبعين وكان سب الصحابة فاشيا في أيامه، والسنة غريبة مكتومة، حتى إنهم منعوا الحافظ أبا إسحاق الحبال من رواية الحديث، وهددوه فامتنع ثم قام بعد المستنصر ابنه أحمد المستعلي بالله العبيدي.

الحدث الخامس عشر:

سنة الاغتيال بالسكاكين

حال العلماء في دولة المستعلي بالله

وفي دولته كثرت الباطنية الملاحدة الـذين هـم الإسماعيليـة. وأخذوا القفول (١) وتملكوا قلعة أصبهان، وفتكوا بعدد كثير مـن الكبار والعلماء وشرعوا في شغل السكين، وجرت لهـم خطـوب وعجائب.

الحدث السادس عشر:

الوشاة وزغ نار إبراهيم -عليه السلام-

هياج بن عبيد

الإمام، الفقيه، الزاهد، شيخ الإسلام، أبـو محمـد الشـامي الحطيني، الشافعي، شيخ الحرم. ولد بعد التسعين وثلاث مئة.

وكان اعتناؤه جيدا بالحديث، وله بصر بالمـذهب، وقـدم في التقوى وجلالة عجيبة.

قال ابن طاهر: كان هياج قد بلغ من زهده أنه يصوم ثلاثة أيام ويواصل، لكن يفطر على ماء زمزم، فمن أتاه بعد ثـلاث بشـيء أكله وكان قد نيف على الثمانين، وكان يـدرس عـدة دروس،

---

(١) القفول: جمع قافلة.

ويزور (المسجد) وقبر النبي ﷺ كل سنة مع أهل مكة، فيخرج فمن أخذ بيده، كان في مؤونته حتى يرجع، وكان يمشي حافيا من مكة إلى المدينة، وسمعت من يشكو إليه أن نعليه سرقتا، فقال: اتخذ نعلين لا يسرقهما أحد ـــ يعني الحفاء ـــ ورزق الشهادة في كائنة بين السنة والرافضة وذلك أن بعض الرافضة شكى إلى أمير مكة أن أهل السنة ينالون منا، فأنفذ، وطلب هياجا وأبا الفضل بن قوام وابن الأنماطي، وضربهم، فمات هذان في الحال، وحمل هياج، فمات بعد أيام ـــ رضي الله عنهم.

مات هياج سنة اثنتين وسبعين وأربع مئة.

الحدث السابع عشر:

إن الخيانة عادة من طبعهم

اغتيال نظام الملك

الوزير الكبير، نظام الملك، قوام الدين، أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، عاقل، سائس، خبير، سعيد، متدين محتشم، عامر المجلس بالقراء والفقهاء.

أنشأ المدرسة الكبرى ببغداد، وأخرى بنيسابور وأخرى بطوس ورغب في العلم، وأدر على الطلبة الصلات وأملى الحديث وبعد صيته.

وكان أبوه من دهاقين بيهق، فنشأ وقرأ نحوا، وتعانى الكتابة

والديوان، وخدم بغزنة، وتنقلت به الأحوال إلى أن وزر للسلطان ألب آرسلان، ثم لابنه ملكشاه، فدبر ممالكه على أتم ما ينبغي، وخفف المظالم، ورفق بالرعايا، وبنى الوقوف، وهاجرت الكبار إلى جنابه وازدادت رفعته، واستمر عشرين سنة.

وكان فيه خير وتقوى، وميل إلى الصالحين، وخضوع لموعظتهم يعجبه من يبين له عيوب نفسه، فينكسر ويبكي.

مولده في سنة ثماني وأربع مئة، وقتل صائما في رمضان، أتاه باطني في هيئة صوفي يناوله قصة، فأخذها منه، فضربه بالسكين في فؤاده، فتلف، وقتلوا قاتله، وذلك سنة خمس وثمانين وأربع مئة، بقرب نهاوند، وكان آخر قوله: لا تقتلوا قاتلي، قد عفوت، لا إله إلا الله.

الحدث الثامن عشر:

عندما يكاتب الفرنج ضد المسلمين

ياغي بسان

قيل: إن صاحب مصر لما رأى قوة آل سلجوق واستيلاءهم على الممالك كاتب الفرنج.

فمروا بسيس، ونازلوا أنطاكية، فخاف صاحبها ياغي بسان، فأخرج النصارى إلى الخندق وحبسهم به، فدام حصارها تسعة أشهر، وفني الفرنج قتلا وموتا، ثم إنهم عاملوا الزراد المقدم، وبذلوا

له مالا، فكاشر لهم عن بدنه، [1] ففتحوا شباكا، وطلعوا منه خمس مئة في الليل، ففتح ياغي بسان، وهرب، واستبيح البلد ـــ فإنـــا لله ـــ في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وسقطت قوة يـــاغي بســـان أسفا، وانهزم غلمانه، فذبحه حطاب أرمني. ثم أخذوا المعرة، فقتلوا وسبوا، وتجمعت عساكر الموصل وغيرها فالتقوا، فانهزم المســـلمون واستشهد ألوف وصالحهم صاحب حمص، وأقبل ابن أمير الجيوش، فأخذ القدس من ابن أرتق، وانتشرت الباطنية بأصـــبهان وتمـــت حروب مزعجة بين ملوك العجم، وأخذت الفرنج بيت المقـــدس، نصبوا عليه أربعين منجنيقا، وهدوا سوره وجدوا في الحصار شهرا ونصفا، ثم ملكوه من شماليه سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، وقتلوا به نحوا من سبعين ألفا.

الحدث التاسع عشر:
ما زال القتل غيلة بالسكاكين قديما وما زالوا

والتقى السلطان محمد بن ملكشاه وأخوه بركيا روق مـــرات، وغلت الأقطار بالباطنية، وطاغوتهم الحسن بن الصـــباح المـــروزي الكاتب، كان داعية لبني عبيد، وتعانوا شغل السكين، وقتلوا غيلـــة عدة من العلماء والأمراء وأخذوا القلاع، وحاربوا وقطعوا الطرق،

(١) في كامل ابن الأثير: ٢٧٤/١٠: فلما طال المقام الفرنج على أنطاكية راسلوا أحد المستحفظين للأبراج، وهو زراد يعرف بروزبه، وبذلوا له مالا وأقطاعا، وكان يتولى حفظ برج يلي الوادي، وهو مبني على شباك في الوادي، فلما تقرر الأمر بينهم وبين هذا الملعون الزراد، جاؤوا إلى الشباك ففتحوه.

وظهروا أيضا بالشام، والتف عليهم كل شيطان ومارق، وكل ماكر ومتحيل.

الحدث العشرون:

دجال.... ولو لبس ثياب الزهاد!!

قال الغزالي في "سر العالمين": شاهدت قصة الحسن بن الصباح لما تزهد تحت حصن الألموت، فكان أهل الحصن يتمنون صعوده، ويتمنع ويقول: أما ترون المنكر كيف فشا، وفسد الناس، فصبا إليه خلق وذهب أمير الحصن يتصيد، فوثب على الحصن فتملكه، وبعث إلى الأمير من قتله، وكثرت قلاعهم، واشتغل عنهم أولاد ملكشاه باختلافهم.

الحدث الحادي والعشرون:

احذر الوشاة ساعة الفتنة

قال: وتجرد بأصبهان للانتقام منهم الخجندي، [1] وجمع الجمع الغفير بالأسلحة، وأمر بحفر أخاديد أوقدت فيها النيران، وجعلوا يأتون بهم ويلقوهم في النار إلى أن قتلوا منهم خلقا كثيرا.

وصار الأمراء يلازمون لبس الدروع تحت الثياب خوفا من

(١) هو أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندي الفقيه الشافعي.

فتك هؤلاء الملاحدة، وركب السلطان بركيـــا روق في تطلبـــهم، ودوخهم، حتى قتل جماعة براء، سعى بهم الأعداء، ودخل في ذلك أهل عانة، واتهم إليكا الهراسي بأنه منهم، وحاشاه، فأمر الســـلطان محمد بن ملكشاه بأن يؤخذ حتى شهدوا له بالخير، فأطلق.

الحدث الثاني والعشرون:

القتل داخل الجامع

وفي سنة خمس وخمس مئة وثب باطني بجامع دمشـــق علـــى صاحب الموصل مورود بن ألتونتكين فقتله، وأحرق الباطني.

الحدث الثالث والعشرون:

احترس .... ولا تخون

صاحب أفريقيا

الملك أبو طاهر يحيى بن الملك تميم بن المعز بن باديس الحميري، قام في الملك بعد أبيه، وخلع على قواده وعدل، وافتتح حصونا ما قدر أبوه عليها، وكان عالما، كثير المطالعة، جوادا ممدحا، مقربـــا للعلماء.

وقد وقف ليحيى ثلاثة غرباء، وزعموا أنهم يعملون الكيميـــاء فأحضرهم ليتفرج وأخلاهم، وعنده قائـــد عســـكره إبـــراهيم، والشريف أبو الحسن، فسل أحدهم سكينا، وضرب الملك، فمـــا

صنع شيئا، ورفسه الملك دحرجه، ودخل مجلسا وأغلقه، وقتل الآخر الشريف، وشد إبراهيم بسيفه عليهم، ودخل المماليك، وقتلوا الثلاثة، وكانوا باطنية أظن الأمير العبيدي ندهم لذلك.

الحدث الرابع والعشرون:

كانت الأمراء تكرهه لكونه سنيا

أمير الجيوش

الملك الأفضل، أبو القاسم شاهنشاه ابن الملك أمير الجيوش بدر الجمالي الارمني.

أهلك نزارا ولد المستنصر صاحب دعوة الباطنية.... وكان بطلا شجاعا، وافر الهيبة عظيم الرتبة، فلما هلك المستعلي العبيدي، نصب في الإمامة ابنه الآمر، وحجر عليه وقمعه، وكان الآمر طياشا فاسقا، فعمل على قتل الأفضل، فرتب عدته ووثبوا عليه، فأثخنوه، ونزل إليه الآمر، توجع له، فلما قضى، استأصل أمواله، وبقي الآمر في داره أربعين صباحا.... وكانت أيامه ثماني وعشرين سنة، وكانت الأمراء تكرهه لكونه سنيا، فكان يؤذيهم. وكان فيه عدل فظهر بعده الظلم والبدعة، وولي الوزارة بعده المأمون البطائحي.

قتلوه سنة خمس عشرة وخمس مئة، وله ثماني وخمسون سنة.

وكان الأفضل حسن الاعتقاد، سنيا حميد السيرة، كريم الأخلاق لم يأت الزمان بمثله.

الحدث الخامس والعشرون:

نفرت منه الرعية وغالبهم مخالفين للسنة.... فقتله إفرنجي

"أبو علي أحمد بن الأفضل"

ووزر بعد هلاك الآمر أمير الجيوش أبو علي أحمد بن الأفضل، وكان شهما مطاعا، وبطلا شجاعا، سائسا سنيا، كأبيه وجده، علي الحافظ، ومنعه من أعباء الأمور، فشد عليه مملوك للحافظ إفرنجي، فطعنه فقتله.

وقيل: إنه ترك من الخطبة اسم الحافظ، وخطب لنفسه، وقطع الأذان بحي على خير العمل، فنفرت منه الرعية، وغالبهم شيعة.

الحدث السادس والعشرون:

التحالف مع الباطنية سياسة كافرة

المسترشد بالله

أمير المؤمنين أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدي بأمر الله عبد الله بن محمد بن القائم بن عبد الله بن عبد القادر القرشي الهاشمي العباسي ــ البغدادي.

مولده سنة ست وثمانين وأربع مئة في أيام جده المقتدي، وخطب له بولاية العهد وهو يرضع، وضربت السكة باسمه.

وله خط بديع، ونثر صنيع، ونظم جيد، مع دين ورأي، وشهامة وشجاعة، وكان خليقا للإمامة، قليل النظر.

قال ابن النجار: كان ذا شهامة وهيبة، وشجاعة وإقدام، ولم تزل أيامه مكدرة بتشويش المخالفين، وكان يخرج بنفسه لدفع ذلك ومباشرته إلى أن خرج، فكسر، وأسر، ثم استشهد على يد الملاحدة وكان قد سمع الحديث قال ابن النجار: أخبرنا زين الأمناء عن محمد بن محمد الإسكافي إمام الوزير قال: لما كنا مع المسترشد بباب همذان، كان معنا إنسان يعرف بفارس الإسلام، وكان يقرب من خدمة الخليفة، فدخل على الوزير ابن طراد، فقال: رأيت الساعة النبي ﷺ ، فقلت: يا رسول الله ما تقول في هذا الجيش؟ قال: مكسور مقهور، فأريد أن تطالع الخليفة بهذا، فقال: يا فارس الإسلام، أنا أشرت على الخليفة أن لا يخرج من بغداد، فقال: يا علي، أنت عاجز عد إلى بيتك، فلا أبلغه هذا، لكن قل لابن طلحة صاحب المخزن، فذهب إلى ابن طلحة، فأخبره، فقال: لا أنهي إليه ما يتطير به، فاكتب هذا إليه واعرضها، وأخل موضع مقهور فكتبتها، وجئت إلى السرادق، فوجدت نجا في الدهليز، وقد صلى الخليفة الفجر، وبين يديه مصحف، ومقابله ابن سكينة إمامه فدخل نجا الخادم، فسلم الرقعة إليه، وأنا أنظره، فقرأها غير مرة وقال: من كتب هذه؟ فقال: فارس الإسلام، قال: أحضره، فجاء فقبض على يدي، فأرعدت، وقبلت الأرض، فقال: وعليكم السلام ثم قرأ الرقعة مرات، ثم قال: من كتب هذه؟ قلت: أنا، قال: ويلك، لم أخليت موضع الكلمة الأخرى؟ قلت: هو ما رأيت يا أمير المؤمنين،

قال: ويلك، هذا المنام أريته أنا في هذه الساعة، فقلت: يا مولانا، لا يكون أصدق من رؤياك، ترجع من حيث جئت، قال: ويلك أو يكذب رسول الله ﷺ ؟ لا والله ما بقي لنا رجعة ويقضي الله ما يشاء، فلما كان اليوم الثاني، أو الثالث، وقع المصاف وتم ما تم، وكسر وأسر، وقتل رحمه الله.

قال ابن ناصر: خرج المسترشد بالله سنة تسع وعشرين وخمس مئة إلى همذان للإصلاح بين السلاطين، واختلاف الجند، وكان معه جمع كثير من الأتراك، فغدر به أكثرهم، ولحقوا بمسعود بن محمد بن ملكشاه، ثم التقى الجمعان، فانهزم جمع المسترشد بالله وقبض عليه، وعلى خواصه، وحملوا إلى قلعة هناك، فحبسوا بها وبقي الخليفة مع السلطان مسعود، وحمل معهم إلى مراغة، ثم إن الباطنية ألفوا عليه جماعة من الملاحدة، وكان قد أنزل ناحية من المعسكر، فدخلوا عليه، ففتكوا به، وبجماعة كانوا على باب خركاهه (١) وقتلوا.

وجاء الخبر إلى بغداد، فكثر النوح والبكاء بها، وعمل العزاء.

قلت: بويع عند موت أبيه سنة اثنتي عشرة وخمس مئة فكانت دولته سبع عشرة سنة وسبعة أشهر، وعاش ستا وأربعين سنة فقيل: إن الذين فتكوا به جهزهم مسعود، وكانوا سبعة عشر نفسا فأمسكوا، وقتلهم السلطان، وأظهر الحزن والجزع.

وقيل: بعث السلطان سنجر بن ملكشاه إلى ابن أخيه مسعود

(١) الخركاه بالفارسية، الخيمة الكبيرة.

يوبخه على انتهاك حرمة المسترشد، ويأمره برده إلى مقر عزه. وأن يمشي بين يديه بالغاشية ويخضع، ففعل ذلك ظاهرا، وعمل على قتله.

الحدث السابع والعشرون:

عندما يتنمر الضبع

تاج الملوك

صاحب دمشق، تاج الملوك، بوري ابن صاحب دمشق الأتابك طغتكين، مولى السلطان تتش السلجوقي.

تملك بعد أبيه سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة، وكان ذا حلم وكرم، له أثر كبير في قتل الإسماعيلية.

مولده في سنة ثماني وسبعين وأربع مائة.

ولما علم ابن صباح صاحب الألموت بما جرى على أشياعه الإسماعيلية بدمشق، تنمر، وندب طائفة لقتل تاج الملوك، فعين اثنين في زي الجند، ثم قدما فاجتمعا بناس منهم أجناد، وتحايلا إلى أن صارا من السلحدانة، وضمنوهما، ثم وثبا عليه فقتلاه.

قال أبو يعلي القلانسي: وثبوا عليه في خامس جمادي الآخرة سنة خمس وعشرين وخمس مائة، فضربه الواحد بالسيف قصد رأسه، فجرحه في رقبته جرحا غائرًا، وضربه الآخر بسكين في خاصرته، فمرت بين الجلد واللحم.

قلت: كان تعلل من ذلك، ولكنه توفي في رجب سنة ست وعشرين وخمس مئة.

وقيل: كان عجبا في الجهاد، لا يفتر من غزو الفرنج، ولو كان له عسكر كثير لاستأصل الفرنج.

الحدث الثامن والعشرون:

سقاه سما فسُقي سما

ابن هبيرة

الوزير الكامل، الإمام العادل، يمين الخلافة، أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة، الشيباني الدوري العراقي الحنبلي، صاحب التصانيف.

قال ابن الجوزي: كان إذا استفاد شيئا من العلم قال: أفادنيه فلان، وقد أفدته معنى حديث، فكان يقول: أفادنيه ابن الجوزي، فكنت استحي، وجعل لي مجلسا في داره كل جمعة ويأذن للعامة في الحضور، وكان بعض الفقراء يقرأ عنده كثيرا فأعجبه، وقال لزوجته: أريد أن أزوجه ابنتي، فغضبت الأم. وكان يقرأ عنده الحديث كل يوم بعد العصر، فحضر فقيه مالكي فذكرت مسألة، فخالف فيها الجمع، وأصر، فقال الوزير: أحمار أنت! أما ترى الكل يخالفونك؟! فلما كان من الغد، قال للجماعة: إنه جرى مني بالأمس في حق هذا الرجل ما لا يليق، فليقل لي كما قلت له فما

أنا إلا كأحدكم، فضج المجلس بالبكاء، واعتذر للفقيه، وقال: أنا أولى بالاعتذار، وجعل يقول: القصاص القصاص، فلم يزل حتى قال يوسف الدمشقي: إن أبى القصاص فالفداء، فقال الوزير: له حكمه، فقال الفقيه: نعمك علي كثيرة، فأي حكم بقي لي؟ قال: لابد. قال: علي دين مئة دينار، فأعطاه مائتي دينار، وقال: مئة لإبراء ذمته، ومائة لإبراء ذمتي.

قال الذهبي: له كتاب "الإفصاح عن معاني الصحاح" شرح فيه صحيحي البخاري ومسلم. وفي عشر مجلدات، وألف كتاب "العبادات" على مذهب أحمد، وله أرجوزة في المقصور والممدود، وأخرى في علم الخط واختصر كتاب "إصلاح المنطق" لابن السكيت.

وفي ليلة الثالث عشر جمادى الأولى سنة ستين وخمس مئة استيقظ وقت السحر، فتقيأ، فحضر طبيبه ابن رشادة، فسقاه شيئا، فيقال: إنه سمه، فمات. وسقي الطبيب بعده بنصف سنة سما، فكان يقول: سَقيت فسُقيت، فمات.

ورأيت آثارا بجسده ووجهه تدل على أنه مسموم، وحملت جنازته إلى جامع القصر، وخرج معه جمع لم نره لمخلوق قط، وكثر البكاء عليه لما كان يفعله من البر والعدل، ورثته الشعراء.

الحدث التاسع والعشرون:

صاح الباطني: مظلوم! مظلوم!

عضد الدين

وزير العراق، الأوحد المعظم، عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن مظفر ابن الوزير الكبير رئيس الرؤساء، أبي القاسم، علي بن سلمة، البغدادي. وزير للإمام المستضيء، وكان جوادا سويا مهيبا كبير القدر،ذا انصباب إلى أهل العلم والتصوف، يسبغ عليهم النعم، ويشتغل هو وأولاده بالحديث والفقه والأدب. كان الناس معهم في بلهنية (١).

قلت: وقد عزل ثم أعيد، وتمكن ثم تهيأ للحج، وخرج في الرابع من ذي القعدة في موكب عظيم، فضربه باطني على باب قطفتا أربع ضربات، ومات ليومه من سنة ثلاث وسبعين وخمس مئة، وكان قد هيأ ست مئة جمل، سبل منها مئة، صاح الباطني: مظلوم! مظلوم! وتقرب، فزجره الغلمان، فقال: دعوه، فتقدم إليه، فضربه بسكين في خاصرته، فصاح الوزير: قتلني، وسقط، وانكشف رأسه، فغطى رأسه بكمه، وضرب الباطني بسيف، فعاد وضرب الوزير، فهبروه بالسيوف، وكان معه اثنان، فأحرقوه، وحمل الوزير إلى داره، وجرح الحاجب، وكان الوزير قد رأى في النوم أنه معانق عثمان -رضي الله عنه- وحكى عنه ابنه أنه اغتسل قبل خروجه،

(١) بلهنية بضم الباء: أي سعة ورفاهية.

وقال: هذا غسل النوم والإسلام، فإنني مقتول بلا شك. ثم مـــات بعد الظهر، ومات الحاجب. وقيل: إن الوزير بقي يقول: الله! الله! كثيرا، وقال: ادفنوني عند أبي.

الحدث الثلاثون:

فلم يرع ولا زل

الطالقاني

الشيخ الإمام العلامة، الواعظ، ذو الفنون، رضي الدين، أبو الير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني القزويني الشافعي.

توفي في سنة تسعين وخمس مئة.

وقال الحافظ عبد العظيم: حكى غير واحد أنه كان لا يـــزال لسانه رطبا من ذكر الله.

قال أبو الخير: هو أول من وعظ بباب بدر الشريف.

قلت: هذا موضع كان ربما حضره وعاظ الخليفة المستضيء من وراء الستر وتحضر الأمم، فكان هو يعظ مرة وابن الجوزي مرة.

قال الموفق: كان يعمل في اليوم والليلة ما يعجز المجتهد عنه في شهر، وظهر التشيع في زمانه بسبب الصاحب، فالتمس العامة منه على المنبر يوم عاشوراء أن يلعن يزيد، فامتنع، فهموا بقتله مـــرات، فلم يرع، ولا زال، وسار إلى قزوين، وضجع [1] لهم ابن الجوزي.

(١) أي مال إليهم ووافقهم.

الحدث الحادي والثلاثون:

تعبدا معه أشهرا

ابن قائد

القدوة العارف، أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي بن قايد الأواني. زاهد، خاشع، ذو كرامات، وتأله، وأوراد، أقعد مدة.

قدم أوانا [(١)] واعظ باطني، فنال من الصحابة، فحمل هذا في محفته، وصاح به: يا كلب انزل، ورجمته العامة، فهرب، وحدث سنانا [(٢)] بما تم عليه، فندب له اثنين فأتياه، وتعبدا معه أشهرا، ثم قتلاه، وقتلا خادمه، وهربا في البساتين، فنكرهما فلاح، فقتلهما ثم تيقن أنهما اللذان قتلا الشيخ بصفتهما ثم أحرقهما.

الحدث الثاني والثلاثون:

محاولة اغتيال صلاح الدين الأيوبي

السلطان الكبير الملك الناصر، صلاح الدين، أبو المظفر، يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي الدويني، التكريتي المولد ولد في سنة اثنتين وخمس مئة.

قال الموفق عبد اللطيف: أتيت، وصلاح الدين بالقدس، فرأيت

---

(١) قرية من نواحي وجيل شمالي بغداد مما يلي الموصل.

(٢) يعني راشد الدين سنان بن سلمان كبير الإسماعيلية انظر سيرته الخبيثة النتنة في السير ٢١/١٨٢ — ١٩٠، والنزهة ص ١٤٧٧.

ملكا يملأ العيون روعة، والقلوب محبة، قريبا وبعيدا، سهلا، محببـــا، وأصحابه يتشبهون به، يتسابقون إلى المعروف كما قـــال تعـــالى: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا**﴾ [الحجـــر: ٤٧]. وأول ليلة حضرته وجدت مجلسه حافلا بأهل العلم يتـــذاكرون، وهـــو يحسن الاستماع والمشاركة، ويأخذ في كيفية بناء الأسوار، وحفـــر الخنادق، ويأتي بكل معنى بديع، وكان مهتما في بناء ســـور بيـــت المقدس وحفر خندقه، ويتولى ذلك بنفسه، وينقل الحجـــارة علـــى عاتقه، ويتأسى به الخلق حتى القاضي الفاضل، والعماد إلى وقـــت الظهر، فيمد السماط، ويستريح، ويركب العصر، ثم يرجع في ضوء المشاعل، قال له صانع: هذه الحجارة التي تقطع من أسفل الخنـــدق رخوة، قال: كذا تكون الحجارة التي تلي القرار والنـــداوة، فـــإذا ضربتها الشمس، صلبت. وكان يحفظ "الحماسة" ويظن أن كـــل فقيه يحفظها، فإذا أنشد، وتوقف، استطعم فلا يطعم، وجرى لـــه ذلك مع القاضي الفاضل، ولم يكن يحفظها، وخرج، فما زال حتى حفظها.

وكانت له همة في إقامة الجهاد، وإبادة الأضداد، ما سمع بمثلـــها في دهر.

قال ابن واصل في حصار عزاز: كانت خيمة السلطان يحضـــر فيها، ويحض الرجال، فحضر باطنية في زي الأجناد، فقفـــز عليـــه واحد ضربه بسكين لولا المغفر الزرد [١] الذي تحت القلنسوة لقتل،

(١) زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة. وقول ابن واصل:

فأمسك السلطان يد الباطني بيديه، فبقي يضرب في عنق السلطان ضربا ضعيفا، والزرد تمنع، وبادر الأمير بازكوج، فأمسك السكين، فجرحته، وما سيبها الباطني حتى بضعوه، ووثب آخر، فوثب عليه ابن منكلان، فجرحه الباطني في جنبه، فمات وقتل الباطني، وقفز ثالث، فأمسكه الأمير علي بن أبي الفوارس، فضمه تحت إبطه، فطعنه صاحب حمص، فقتله، وركب السلطان إلى مخيمه، ودمه يسيل على خده، واحتجب في بيت خشب، وعرض جنده، فمن أنكره، أبعده.

الحدث الثالث والثلاثون:

لا تزرعوا العلقم في دياركم وأتلفوه

المستعصم بالله

الخليفة الشهيد أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله منصور بن الظاهر محمد بن الناصر أحمد بن المستضيء الهاشمي العباسي البغدادي.

ولد سنة تسع وست مئة.

واستخلف سنة أربعين يوم موت أبيه. وكان فاضلا، تاليا لكتاب الله، مليح الكتابة.

= ـــــــــــــــ

لولا المغفر لقتله غير حسن لأن عناية الله ــ عز وجل ــ هي التي أدركته وليس المغفر.

وكان كليما، حليما، متدينا، سليم الباطن، حسن الهيئة.

قال قطب الدين اليونيني: كان متدينا متمسكا بالسنة كأبيه وجده، ولكنه لم يكن في حزم أبيه، وتيقظه وعلو همته، وإقدامه، وإنما قدموه على عمه الخفاجي لما يعلمون من لينه وانقياده وضعف رأيه ليستبدوا بالأمور.

ثم إنه استوزر المؤيد بن العلقمي الرافضي، فأهلك الحرث والنسل، وحسن له جمع الأموال، وأن يقتصر على بعض العساكر، فقطع أكثرهم، وكان يلعب بالحمام، وفيه حرص وتوان.

وفي سنة خمس وخمسين وستمائة مات صاحب مصر الملك المعز أيبك التركماني، قتلته زوجته شجر الدر في الغيرة، فوسطت.

وجرت فتنة مهولة ببغداد بين الناس وبين الرافضة، وقتل عدة من الفريقين، وعظم البلاء ونهب الكرخ، فحنق ابن العلقمي الوزير الرافضي، وكاتب هولاكو، وطمعه في العراق، فجاءت رسل هولاكو إلى بغداد، وفي الباطن معهم فرمانات لغير واحد، والخليفة لا يدري ما يتم، وأيامه قد ولت، وصاحب دمشق شاب غر جبان، فبعث ولده الطفل مع الحافظي بتقادم وتحف إلى هولاكو فخضع له، ومصر في اضطراب بعد قتل المعز، وصاحب الروم قد هرب إلى بلاد الأشكري، فتمرد هولاكو وتجبر، واستولى على الممالك وعاث جنده الكفرة يقتلون ويأسرون ويحرقون.

وفي سنة ست قصد هولاكو بغداد فخرج عسكرها إليه فانكسروا، وكاتب لؤلؤ صاحب الموصل وابن صلايا متولي إربل

الخليفة سرا ينصحانه فما أفاد، وقضي الأمر وأقبل هولاكو في المغول والترك والكرج، فأشار الوزير على الخليفة بالمدارة وقال: أخرج إليه أنا، فخرج واستوثق لنفسه ورد فقال: القان راغب في أن يزوج بنته بابنك أبي بكر ويبقي لك منصبك كما أبقى صاحب الروم في مملكته من تحت أوامر القان، فاخرج إليه، فخرج في كبراء دولته للنكاح يعني، فضرب أعناق الكل بهذه الخديعة ورفس المستعصم حتى تلف، وبقي السيف في بغداد بضعة وثلاثين يوما، فأقل ما قيل: قتل بها ثماني مئة ألف نفس، وأكثر ما قيل بلغوا ألف ألف وثماني مئة ألف، وجرت السيول من الدماء فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم بعد ذهاب البلد ومن فيه إلا اليسير نودي بالأمان، وانعكس على الوزير مرامه وذاق ذلا وويلا وما أمهله الله.

وعمل ابن العلقمي على ترك الجمعات وأن يبني مدرسة على مذهب الرافضة، فما بلغ أمله وأقيمت الجمعات.

وكان قد مشى حال الخليفة بأن يكون للتتار نصف دخل العراق. فقال ابن العلقمي: بل المصلحة قتله، وإلا فما يتم لكم ملك العراق.

قلت: وله ذرية إلى اليوم بأذربيجان، وانقطعت الإمامة العباسية ثلاث سنين وأشهرا بموت المستعصم، فكانت دولتهم من سنة اثنتين وثلاثين ومائة إلى سنة ست وخمسين وست مئة فذلك خمس مئة وأربع وعشرون سنة، ولله الأمر.

بعد هذه الجولة نسأل الله تعالى أن يحفظ علماء وأمراء هـــذه الأمة، ويحفظنا من بين أيدينا، ومن خلفنا، وعـــن أيماننـــا، وعـــن شمائلنا، ومن فوقنا، ونعوذ بعظمته أن نغتال من تحتنا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمـــة للعالمين.

وكتبه

عبيد بن أبي نفيع الشعبي

الفهرس

